

عكاشة عبد المنان

الأمر بالمعروف والدعوة إلى الله

دار السُّوِّفِيَّةِ
للنشر والتوزيع

دار الروضة

للتنوير والنويع

٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
سوق الكتاب الجديد - الأزبكية

ص.ب: ٢٢٢٧ رمز بريدي: ١١٥١١

تليفون: ٥٩١٣٤٢٤ - فاكس: ٥٩٢٧٣٦٤

موبايل: ٠١٢٣٦٠٨٩٩٥

الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

حقوق الطبع محفوظة

DAR EL-RAWDAH.
2DARB EL-ATRAK. EL-AZHAR



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. (آل عمران: ١١٠)

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران: ١٠٤)

وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

(آل عمران: ١١٣-١١٤)

ففى الآية الأولى فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس.. وفى الآية الثانية أمر، وظاهر الأمر الإيجاب.. وفى الآية الثالثة لم يشهد لهم بالصالح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. وقد نعت الله المؤمنين بأكثر من آية بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن





هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآيات.. وقد شدد الله باللعن على الذين تركوا النهى عن المنكر فقال عز وجل: ﴿لَعْنَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. (المائدة: ٧٨)

وقمة الأمر بالمعروف، الدعوة إلى الله سبحانه، لأنَّ الخير والفلاح بالعودة إلى هذا الدين، والتوبة إلى الله سبحانه عما سلف، يقول الإمام الغزالي:

اعلم أنَّ وجوب التوبة ظاهر بالإخبار والآيات، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته شرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنياً عن قائد يقوده في كل خطوة، فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد في كل خطوة، وإما بصير يهdy إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام، فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصاً من كتاب الله أو سنة رسوله، وربما يعوزه ذلك فيتحير، فسير هذا وإن طال عمره وعظم جدّه مختصر وخطاه قاصر، ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة وبشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان، وهو لشدة نور باطنه يجتزىء بأدنى بيان، فكأنه يكاد زيتته يضىء ولو لم تمسسه نار، فإذا مسته نار فهو نور على نور يهdy الله لنوره من يشاء، وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة، فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هي، ثم إلى الوجوب ما معناه، ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها، وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة





الأبد والنجاة من هلاك الأبد فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجباً معنى. وقول القائل: صار واجباً بالإيجاب، حديث محض فإن ما لا غرض لنا آجلاً أو عاجلاً في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به، أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه، فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالى، وأن كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق ونار الجحيم. وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفانى والإكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعاً، وعلم أنه مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلباً للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته، وعلم أن الذنوب التى هى إعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله تعالى فلا يشك فى أن الانصراف عن طريق السعد واجب للوصول إلى القرب، وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم، فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه فى طريق السعد، وما لم يتوجع فلا يرجع، ومعنى الرجوع الترك والعزم، فلا يشك فى أن المعانى الثلاثة ضرورية فى الوصول إلى المحبوب، وهكذا يكون الإيمان لحاصل على نور البصيرة، وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق، فى التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالح فقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (النور: ٣١)..





وهذا أمر على العموم ..

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾.

(التحریم: ٨)

ومعنى النصوح: الخالص لله تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذ من النصح، ويدل

على فضل التوبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

(البقرة: ٢٢٢)

وقال عليه الصلاة والسلام: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"

ولا خلاف في وجوب التوبة، ومن معانيها: ترك المعاصي في الحال والعزم

على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من تقصير في سابق الأحوال، وذلك لا يشك

في وجوبه، وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب، وهو روح التوبة وبه تمام

التلافي، فكيف لا يكون واجباً، بل هو نوع ألم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة

بمافات من العمر وضاع في سخط الله.. وبعد: عجالة بين يدي الكتاب، وقد قدم له

الأستاذ الندوي، وقد أغنانا عن التعريف بصاحب هذا الكتاب، وهو من كتب الخير

أسأل الله سبحانه أن ينفع به إنه على ما يشاء قدير، والحمد لله رب العالمين/

عكاشة عبد المنان الطيبي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

بقلم سماحة الشيخ/ أبي الحسن علي الحسنى الندوى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه

أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد: فإن عماد حياة الأمة الإسلامية والقطب الذى يدور حوله نشاطها وحياتها وجدها وكفاحها هو الدعوة إلى الله وتبليغ أحكامه ورسالاته والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومكان هذا العمل بين أعمال هذه الأمة وأخلاقها وسماتها "وهى كثيرة ومهمة" هو المكان الرئيسى والأساسى فهى الغاية التى خلقت لأجلها وبعثت لمصلحتها وقد قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

وقد فتحت هذه الآية الكريمة نافذة عظيمة منيرة كانت مسدودة فى معرفة طبائع الأمم والاطلاع على مزية هذه الأمة من بين شعوب العالم وأثارت علماً دفيناً وكنزاً مضموراً وأحدثت انقلاباً فى النظرة إلى هذه الأمة ومركزها وقيمتها وهو أن ظهور هذه الأمة على منصة العالم ومسرح التاريخ والأمم لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية أو كتلة إنسانية، ولم تكن موجة من الموجات البشرية الكثيرة ولا من فقايع الماء التى تظهر وتختفى وتتكون وتندحر إنه ليس خروجاً كخروج سائر الأمم إنما هو إخراج

(١) سورة آل عمران: ١١٠.



تسيطر عليه الحكمة الإلهية وتمده إرادة الله القاهرة إنما هو تعبير لم يستخدم إلا في قضايا الأنبياء المكرمين وعباد الله المرسلين وإن كان يفسر بشيء فإنه يفسر بلفظ الإرسال والبعثة.

وقد جاء الحديث الصحيح يفسره، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال مخاطباً لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" ولم يكن أحد أعرف من رسول الله ﷺ بخطر هذا التعبير وقيمته، واختصاصه بالأنبياء والمرسلين وقد ورد في القرآن في شأن الأنبياء في مواضع كثيرة يصعب استقصاؤها، ولم يكن رسول الله ﷺ يتكلم جزافاً ويرسل الكلام على عواهنه إنما يزن الكلام وزناً، وقد كان كلامه فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير ولا إطراء ولا مبالغة فدل ذلك على أن هذه الأمة هي مقصودة مهياً، مأمورة منبعثة، وقد طاب لذلك وساع لأحد رسل المسلمين الذي اختاره الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ليكون ترجماناً للإسلام والمسلمين أن يقول في مجلس ملك الفرس: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الناس إلى عبادة اله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.⁽¹⁾

وذلك كله، لأن الله سبحانه وتعالى قلد هذه الأمة نيابة نبيها الخاتم في تبليغ آخر الأديان، وخاتمة الرسالات، وهكذا ربط مصير الإنسانية بها، وإلى ذلك يشير قول النبي ﷺ في إحدى خطبه التي خطبها في حجة الوداع: "إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم" ولذلك ساع له أن يقول في ساحة بدر: "اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد".

(1) البداية والنهاية لابن كثير.



فبقاء الإنسانية ببقاء هذه الأمة وبقاء هذه الأمة ببقاء هذه الصفة الدعوية والمركز الإبلاغي وبمحافظةها على فريضة الأساسية ونشاطها في مجال الدعوة إلى الله وتبليغ رسالاته التي حملتها عن نبيها فإذا فقدت هذه الصفة أو أصبحت مغمورة مظمورة ضاعت هذه الأمة أو تحللت ونابت في خضم الأمم ولجة الغايات والفلسفات ومناهج الحياة، وأشرفت الدنيا على خطر وتعرضت الإنسانية للتلف وأصبحت المدنية كلها جسماً بلا روح ولفظاً بلا معنى.

وقد استقامت هذه الأمة وسارت سيرها الطبيعي واستقامت الأمور وسلمت البشرية ما دامت هذه الأمة محافظة على غايتها ورسالاتها قوية نشيطة في أمر الدعوة إلى الله، والحسبة على الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان إخلالها بهذا الواجب وتقويضها لهذا الركن الركين ثورة على طبيعتها وانحرافاً عن جادتها وجناية على البشرية جمعاء وعلل واختلالات واضطرابات يشاهدها الإنسان ويذوق سموها في كل مجال من مجالات الحياة، وفي كل مجتمع من المجتمعات البشرية، ولا سبيل إلى إعادة الأمور إلى نصابها ودخول البيوت من أبوابها إلا بعودة هذه الأمة إلى أداء واجبها وإلى سيرتها الأولى في أمر الدعوة إلى الله وتبليغ رسالات الله والقيام بالقسط والشهادة لله والحسبة على الأخلاق والأعمال والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر.

وقد قيض الله لهذه الأمة في كل دور من أدوار حياتها وفي كل رقعة من رقاع العالم الإسلامي رجالاً يدعون إلى إحياء هذه الدعوة والتمسك بهذه الفريضة، وعودة هذه الأمة إلى نشاطها السابق وكفاحها الأول، تذكر بفضلها هذه الأمة فضلها المنسى، وتعود إلى عملها المهجور وتدب فيها حياة جديدة ونشاط جديد.





وكان من هؤلاء الرجال الأفاضل والمصلحين النوايغ الداعي إلى الله مولانا محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوى الدهلوى (١٣٦٣هـ) الذى تنسب إليه جماعة التبليغ التى طار صيتها فى الشرق والغرب، وذرع أتباعها الأرض فى قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا، ووصلوا الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب، وقد جدد الله به أمر الدعوة إلى الله فحبت إلى النفوس، وهانت عليها الرحلات فى سبيلها، وركوب البحار والتحليق فى الأجواء وتجشم المصاعب وكثرة الإنفاق فى مصلحتها، وكان للدعوة نفاذ ورواج، وزيوع وشيوع لم يشاهدا من عهد بعد.

ولما كانت هذه الدعوة تقوم على الإيمان والاحتساب فى طمع فى الأجر، والحرص على اتباع الأنبياء والمرسلين وتقليد الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأتباع أتباعهم بإحسان ويقين اشتدت الحاجة إلى كتاب يجمع بين ما ورد فى فضل الدعوة إلى الله فى القرآن والحديث، ووعد عليه من جزيل الثواب وعظيم الأجر، وما نقل عن الصحابة والتابعين والسلف الصالحين، والعلماء الربانيين والرجال الموفقين من تنافس وتسابق، وعلو همة وقوة نفس، وبعد نظر فى إقامة هذا الركن، وإحياء هذه السنة أشار الداعية الكبير على ابن أخيه الأبر، ومحدث العصر الأكبر "مولانا الشيخ/ محمد زكريا بن محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوى" أن يؤلف فى هذا الموضوع كتاباً متوسطاً يميل إلى الاختصار يعتمد عليه ويلجأ إليه فى إثارة الشعور الإيماني وإعلاء الهمة فى





سبيل الدعوة وتحمل مشاقها، وتجرعُ مزارها، والتذوق لحلاوتها مع ما لها من شروط وآداب وملاحظات واحتياطات، فألف هذا الكتاب الذي نسعد بتقديمه، وقد حظى من القبول ما لم يحظه كثير من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وأعيد طبعه مرات يصعب إحصاؤها، وتناولته الأيدي وتلقفته الألسن ورددته الخطباء وحفظه المتحفظون ولما انتشرت هذه الدعوة في الأقطار العربية، وأصبحت جماعات التبليغ في غدو ورواح، وزهاب وإياب، شعر معنيون بأمر هذه الدعوة بالحاجة إلى نقل هذه الكتب التي تسمى كتب الفضائل إلى اللغة العربية، وقد كانت الكتب العربية من تفسير وحديث وسيرة وتاريخ مادة هذه الكتب، ومصدرها ولكنها اختيار مختار، وجمع جامع، وشرح شارح والجامع أحد المؤلفين كما يعرفه المشتغلين بالتأليف.

وقد وفق الله عدداً من فضلاء ندوة العلماء وأبنائها، وأساذتها لهذا العمل النافع، فنقل الأستاذ سعيد الأعظمي الندوة "أسباب سعادة المسلمين وشقاؤهم" والأستاذ واضح رشيد الندوي "فضائل القرآن" والأستاذ محمد الحسيني "مكانة الصلاة في الإسلام وأهميتها في حياة المسلم".

وها هو رابعهم الأستاذ محمد رابع الندوي أحد كبار أساتذة الأدب العربي في ندوة العلماء، ومنشئ صحيفة "الرائد" يقدم إلى القراء ترجمة كتاب "فضائل تبليغ" باسم





”فضائل الدعوة إلى الخير، والتبليغ لدين الله“ في العربية، وهو كاتب مجيد ومترجم

قدير، قد ظهر له كتاب ”بين التصوف والحياة“ نقلاً من أصله الأردى للأستاذ الكبير

الشيخ عبد البارى الندوى، نشرته دار الفتح فى دمشق وتلقى بالقبول وترجم إلى اللغة

التركية، والأمل وطيد فى أن ينال هذا الكتاب حظه من القبول والعناية، فذلك العهد

يجمع مؤلفات المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى وتراجمها، ونسأل الله

مخلصين أن ينفع بهذا الكتاب وأن يحقق به غرضه المطلوب.

أبو الحسن على الحسنى الندوى

٢٠ ربيع الثانى ١٣٩٣هـ

دار عرفات





زاوية الشيخ علم الله الحسنى

رائى برىلى (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

أحمد الله تعالى أولاً، وأصلى وأسلم على رسوله الكريم، وبعد فقد أمرتنى شخصية مباركة ميمونة من جماعة المجددين لدين الله ورجل نابغة من علماء العصر الحاضر ومشائخه العظام بأن أقوم بجمع آيات وأحاديث تتصل بأهمية التبليغ لدين الله وأؤلف منها كتاباً مختصراً.

وبحيث أنى أرى رضا مثل هؤلاء الربانيين ذريعة لنجاتى فى الآخرة وسبباً لتكفير سيئاتى بالطاعة لأمره وها أنا ذا أقدم للقراء هذه العجالة النافعة.

فإنى ألفت نظر كل مدرسة إسلامية، وعناية كل لجنة إسلامية، وكل معهد إسلامى، وكل مركز من مراكز المسلمين، بل وألفت عناية كل مسلم إلى معرفة أن أعظم ما يقع من القصور فى الالتزام بأمر الدين وأشد ما يقع على الدين من هجمات وحملات، لا من قبل الكفار والأعداء وحدهم، بل من نحو المسلمين، وكل ما نراه من شدة انصراف المسلمين عن أداء فرائض الدين وواجباته، لا من عامة المسلمين بل من خاصتهم وأخص خاصتهم كذلك حتى صار ترك الصلاة والصوم أمراً عادياً لا يهتم بها كبير اهتمام، وبلغ الأمر إلى أن الناس يقعون فى الشرك والكفر علانية، ويقعون فيها وهم لا يرون ذلك شيئاً



عظيماً، ولا يعدونه شركاً أو كفراً، فإن كل ما عم وطم وما يزداد قبحاً وفساداً كل يوم، من ارتكاب الناس لكل الأعمال المحرمة، ومن انتشار الفسق والفجور فيهم بصورة ظاهرة، ومن غفلة الناس عن أمور الدين، ومن استخفافهم وسخريتهم منه لم يعد كل ذلك الآن خافياً عن نظر كل إنسان.

وأصبحنا نرى أن الخاصة من علماء الدين وعامتهم كذلك أصبحوا يميلون إلى الانقطاع والانصراف في حياتهم وصار بُعدُ الناس عن دينهم يشهد بصورة طبيعية مستمرة وهم يبرئون أنفسهم في ذلك فيقولون: إنهم غير مخطئين لأنه لا يدلهم على دينهم أحد ولا يهديهم إليه سبيلاً، أما العلماء فإنهم يرون أنفسهم معذورين كذلك يقولون: إن كلامهم لا يؤثر في هؤلاء ولا يسمع لديهم.

ولكني أقول: إن التأويل من كلا الجانبين ضعيف وباطل ولن ينفع عند الله تعالى شيئاً سواء كان من عامة الناس وهو قولهم: إنه لا يحثهم على الخير أحد لأن طلب الأمور الدينية والبحث عنها واجب على كل نفس ولا قيمة لعذر رجل يرى نفسه متبعاً لقوانين حكومة من الحكومات ثم يقول: إنه لم يعرف قوانين البلاد فلما كان ذلك لا يصح في أمر الدنيا فكيف يصح لدى أحكم الحاكمين؟ وإنما يكون ذلك أقبح حتى من اقرار الذنب نفسه، وأما عذر علماء الدين بأنه لا يسمع لقولهم فلا وزن فيه أيضاً ألا ترون أن الأسلاف البررة الذين تنتمون إليهم قد احتملوا مصائب وشدائد ولم يقصروا في تبليغ الدين فقد رموا بالحجارة ولقوا شتائم وسباباً ولكنهم صبروا وظلوا ثابتين أقوياء في عزمهم وكانوا يحملون الشعور كل الشعور بأداء واجبهم نحو تبليغ الدين فقاموا





بتبليغ دين الله إلى الناس ونشروا الإسلام وأحكامه وقاموا بدعوته مع كل عائق وصعوبة واجهوها في طريق ذلك.

ثم إن ما يزعمه كثير من الناس من أن الدعوة وتبليغ دين الله هو عمل خاص بعلماء الدين فهو غير صحيح أيضاً بل إنما يجب على كل من يرى منكراً وهو قادر على تغييره أو على تهيئة أسباب تغييره أن يقوم بتغيير هذا المنكر ولو افترضنا ما يزعمه الناس ويقولونه من أن هذا العمل خاص بالعلماء فكيف يكون الأمر إذا قصر العلماء في أدائه بتهاونهم وغفلتهم أو لأسباب أخرى؟ أفلا يكون إذاً من الواجب أن يعد هذا العمل فريضة في ذمة كل مسلم؟ فإن العناية الكبيرة التي تظهر في آيات الكتاب وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام في شأن تبليغ دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير خافية ولا مستورة وإنها ستبين لك مما سنسوقه في الفصول الآتية إن شاء الله، وبناءً على ثبوت ذلك لا يمكن أن تبرأ ذمة أى مسلم من مسئولية هذا العمل، فيحيلها إلى علماء الدين وحدهم، أو يكتفى باتهامهم بالتقصير في أدائه فإني أوجه نداءً عاماً إلى كل مسلم بأن يساهم اليوم في عمل الدعوة والتبليغ مساهمة يقدر عليها، وأن يبذل من أوقاته في هذا السبيل بقدر ما يمكن له.

وليس هناك شك في أن عمل الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير محتاج إلى أن يكون صاحبه عالماً دينياً كاملاً فإن كل من يعرف شيئاً من أحكام الدين فمن مسؤوليته أن يبلغ ذلك للآخرين، وإذا رأى منكراً وهو قادر على منعه أو تغييره فيجب عليه أن يقوم بمنعه أو تغييره.





الفصل الأول

الدعوة والتبليغ كما تدل عليه آيات القرآن الكريم

أذكر في هذا الفصل آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى مما تؤكد على ضرورة القيام بالدعوة الدينية، وتحت على اختياره، فإني أريد أن أتبرك بها، كما سأشرح بمساعدتها مدى ما يحمله هذا العمل عند الله سبحانه وتعالى من أهمية، فقد ذكر الله تعالى هذا العمل في كتابه بطرق مختلفة وبسياقات متعددة، فإن عدد الآيات التي ذكره فيها - على ما وصل إليه علمي الضعيف - ستون آية وكلها في الحث على هذا العمل والإنذار من تركه فلو اعتنى رجل ببحث دقيق في الأمر فقد يجد عدد هذه الآيات كبيراً جداً ولما كان ذكر جميع الآيات سبباً إلى إطالة الكلام رأيت الاكتفاء ببعض آيات منها:

(١) قال الله عز وجل اسمه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

قال المفسرون في شرح هذه الآية: إن كل من يقوم بالدعوة إلى الله فإنما يستحق هذه البشرية ويستحق المدح المذكور فيها أياً ما كانت طريقتة في قيامه بهذه الدعوة ومثاله أنك ترى أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يدعون إلى الله بالعجزات، أما العلماء فيقومون بالدعوة عن طريق الحجج العلمية، والمجاهدون يقومون في سبيل الله بهذا العمل عن طريق السيوف، والمؤذنون ينادون إلى الله بكلمات أذانهم، وكلها طرق للدعوة،

(١) فصول: ٣٣.





فكل من يدعو إلى الخير فهو يدخل في مصداق هذا القول الشريف، سواء كان يدعو إلى أعمال الخير الظاهرة، أو إلى أعماله الباطنة كدعوة المتصوفة إلى معرفة الله تعالى^(١) وكتب المفسرون أن آية "وقال إنني من المسلمين" تشير إلى لزوم اعتزاز المسلم بإسلامه مع ثباته عليه، وهو أن يرى لذلك شرفاً لنفسه ويذكر ميزته هذه مفتخراً بها، وقال بعض المفسرين أن المقصود ليس أن يصف نفسه بالعظمة إعجاباً بوعظه ونصحه وتبليغه، بل يصف نفسه بأنه رجل من أتباع الإسلام.

(٢) وقال الله تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) شرح المفسرون هذه الآية بقولهم: إن المقصود بذلك هو التذكير بآيات القرآن، فإن ذلك نافع جداً، أما نفعه في حق المؤمنين فظاهر، وأما في حق الكفار فلأننا نرجو أنهم سيقتلون على دين الله ويدخلون في زمرة المؤمنين ويصبحون بذلك مصداق هذه الآية الكريمة، ولقد انسدت اليوم طرق الوعظ والنصح الحقيقيين إلى حد كبير، وصار غرض الواعظين بصورة عامة هو إمتاع النفوس وإظهار البراعة في الكلام، لينالوا بذلك مدح الناس ورضاهم بجراعتهم، مع أن النبي ﷺ يقول كما جاء برواية أبي هريرة رضي الله عنه: "إن من تعلم صرف الكلام ليسبى به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً وعدلاً"^(٣)

(١) تفسير الخازن "كما نسبه المؤلف.

(٢) الذاريات: (٥٥)

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٠٦) بسند ضعيف



وقال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ

نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(١) وجاء في أحاديث متعددة أن النبي ﷺ إذا أحبَّ لرجل أن يزول عنه ضيقه في معيشته فكان يأمره بالصلاة، ويحثه عليها ويتلو هذه الآية الكريمة مشيراً إلى أن الوعد بالسعة في الرزق إنما علق بالاهتمام بالصلاة^(٢) وكتب العلماء أن أمر الله سبحانه وتعالى للرجل في هذه الآية بالاهتمام بأداء الصلاة مع قيامه بأن يأمر به غيره أيضاً، لم يرد إلا لأن ذلك مفيداً جداً، فإنه عندما يهتم بأدائها ثم يقوم بتبليغها، فسيكون وعظه أكثر تأثيراً على غيره كما يكون سبباً لاهتمام غيره أيضاً، ولذلك أرسل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام للقيام بالهداية ليكونوا بأنفسهم قدوة للناس، فيسهل العمل على العاملين ولذلك لن يكون معقولاً أن يخطر ببال الناس أن كذا وكذا من الأعمال المأمور بها صعب لا يمكن أدائه، أما ما وعد الله به تعالى من الرزق على ذلك فمن فائدته أن الاهتمام بأداء الصلوات في أوقاتها قد يجر إلى وقوع بعض الضرر في وسائل المعيشة ظاهراً وذلك بوجه خاص في التجارة أو الوظيفة فلذلك أزال الشك في هذا الأمر بما وعد به من كونه في يد الله سبحانه وتعالى وكان ذلك كله من الناحية الدنيوية، وخير ذكر كأساس مبدئي وأمرٍ بديهى أن العاقبة الحقيقية هي للمتقين، لا يشاركونهم في ذلك أحد.

(١) طه (١٣٢)

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٣١٣ ونسبه إلى أبي عبيد وسعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني في الأوسط والبيهقي في "شعب الإيمان" بسند صحيح.



٤) وقال الله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١).

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أموراً عظيمة ولا شك أنها أمور هامة جداً وهي نريعة إلى كل نجاح ولكننا جعلناها وراء ظهورنا.

أما الأمر بالمعروف فلا تسأل عنه فقد أوشك أن يتركه الجميع، أما العبادات فأهمها هي الصلاة وهي أهم منزلة بعد الإيمان، أليست الغفلة عنها قد بلغت مبلغاً كبيراً جداً، ألسنا نرى الملتزمين بأداء الصلاة - فضلاً عن تاركي أدائها - أنهم يقصرون في الاهتمام التام بها، وبالأخص في أدائها مع الجماعة وذلك الذي تجد الإشارة إليه في قوله: "أقم الصلاة" فإننا مع كل أسف لا نجد الاهتمام به اليوم إلا في فقراء المسلمين، أما أغنياء المسلمين وسراتهم فكأنهم يرون لأنفسهم في حضور المساجد عيباً وعاراً، فإلى الله المشتكى.

٥) وقال تعالى: ﴿وَلَسْتَ تَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بالتزام أمرٍ عظيم، وهو وجوب أن تتخصص جماعة من المسلمين للقيام بدعوة الناس إلى الإسلام كان هذا الأمر للمسلمين، ولكننا تركناه مع الأسف بصورة كاملة واختارها غير المسلمين وقد التزموا بها بكل عناية، فقد ترى جماعات

(١) لقمان: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٠٤.





من النصارى قد تخصصت للدعوة لدينهم فى أنحاء العالم كله، وتجد ذلك فى أمم أخرى أيضاً، فقد تخصص فيها أفراد وأشخاص لهذا الغرض، فهل توجد فى المسلمين جماعة تقوم بهذا العمل؟ إذا لم يكن ردىكم على سؤالى هذا بلا، فليس من السهل أيضاً أن يكون هذا الجواب بنعم، وقد أصبح من عادة المسلمين أن جماعة أو شخصاً إذا قام بهذا العمل يستهدفونه بانتقاداتهم وطعنهم، وبذلك تنهار همته عن ذلك انهياراً، ويقعد عن العمل، إما هذا اليوم أو فى غدٍ، مع أن واجب النصيحة والتعاون المفروض على كل مسلم فى هذا السبيل كان يقتضى أن تحصل منه المساعدة لأخيه والسعى لإصلاح تقصيره إن كان فيه تقصير، لا أن يتراخى هذا الرجل بنفسه عن العمل، ثم ينتقد العاملين، ويطعن عليهم حتى يجعلهم مضطرين إلى القعود أخيراً.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١) وقد ورد بكل وضوح فى عددٍ من الأحاديث الشريفة عن المسلمين أنهم أشرف الناس، وورد عن الأمة المحمدية أنها أشرف الأمم، وقد جاء مثله فى آيات القرآن الكريم أيضاً حيناً بوضوح وحيناً بإشارات وهذه الآية الشريفة تدل أيضاً على هذا المعنى كما تشير الآية إلى سبب ذلك أيضاً وهو أنكم خير أمة لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

ونذكر المفسرون أن هذه الآية ذكرت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قبل نكورها للإيمان وإن كان الإيمان أصل كل شىء ولا قيمة فى خير إذا لم يكن معه الإيمان والسبب

(١) آل عمران: ١١٠.





فى ذلك هو أن الإيمان صفة اشتركت مع الأمة الإسلامية فيها أمم سابقة أيضاً ولكن الذى يرفع الأمة الإسلامية من بين أتباع الأنبياء السابقين جميعاً بصورة خاصة هو هذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو درة مميزة على جبين هذه الأمة وبحيث أن أى عمل من أعمال الخير لا يكون مقبولاً عند الله تعالى إلا إذا كان مع الإيمان فلذلك أتى ذكره كقيد من قيود ذلك وإن لم يكن ذكره بعينه مقصوداً حقيقياً فى هذه الآية الكريمة، ولما كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو المقصود فى هذا الموضع قدمه فى ذكره على غيره. أما المراد من كونه درة لامتياز هذه الأمة فيظهر من وجوب الاهتمام به وبذل العناية الخاصة به فليس القيام بالتبليغ بصورة سطحية عاجلة مفيداً وكافياً لأنه بهذا المستوى كان موجوداً فى الأمم السابقة أيضاً كما يظهر من آية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(١) ومن غيرها من الآيات، فميزة الأمة الإسلامية مرتبطة بعنايتها الخاصة بهذا العمل وهو أن يتخذه عملاً دائماً ويشتغل فيه كما يشتغل فى غيره من الأعمال الدينية الأخرى.

(٧) وقال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

لقد وعد الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية القائمين بالأمر بالمعروف بالأجر العظيم وكم يكون الأجر عظيماً ويكون مقداره كثيراً إذا كان الله سبحانه وتعالى بنفسه

(١) الأعراف: ١٦٥.

(٢) النساء: ١١٤.





يصفه عظيماً وأما تفسير هذه الآية فقد ذكرت الكتب أنه روى: عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة؟ قال: قلنا: بلى، قال: "إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة"^(١). ووردت نصوص كثيرة فى الحث والتأكيد على القيام بإصلاح ما بين الناس، ولا حاجة هنا إلى ذكرها، وإنما المقصود هى الدلالة على ضرورة اهتمام المسلم بما وسعه من الوسائل للإصلاح بين الناس، فإنه عمل يدخل فى نطاق الأمر بالمعروف أيضاً.

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤٤٤/٦، وأبو داود (٤٩١٩) والترمذى (٢٥٠٩) وابن حبان (١٩٨٢) والبخارى فى (الأدب المفرد) (٣٩٣) والبيهقى (

٥٩٧/١) وصححه ابن حبان والترمذى.





الفصل الثانى

تأكيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

كما تدل عليه أحاديث الرسول ﷺ

نذكر فى هذا الفصل عدداً من الأحاديث الشريفة مما يتصل بموضوعنا فى هذا البحث، وليس غرضنا هنا أن نقص جميع الأحاديث المتصلة بهذا الموضوع، ولا يسعنا ذلك ولو جمعنا أحاديث كثيرة، ومن الذى يقرأها ويتأمل فيها اليوم؟ فقد شغل الناس فى هذه الأيام عن الرغبة فى مثل هذا، ولا يسعه وقتهم أيضاً فلذلك آثرنا الاكتفاء بالضرورة القليل لنلفت الأنظار إليه، ولنبلغ إلى قرائنا ما وجدناه من شدة تأكيد رسول الله ﷺ على الإقبال عليه، وما قام به من إنذار ووعيد لن يتركه ويتغافل عنه. فهنا عدد من الأحاديث الشريفة نقدمها إليكم.

(١) عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"^(١). وقد وورد فى حديث آخر: "ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ وذلك أضعف الإيمان"^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٤٩) والترمذى (٢١٧٢) والنسائى (١١١/٨) وأبو داود (١١٤٠) وابن ماجه (٤٠١٣) وأحمد (٣/٥٤٠٣، ٥٢٠٤٩، ١٠، ٢٠٠١٠).

(٢) وهذه اللفظة للنسائى ١١٢/٨.





وورد فى حديث آخر: "فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو

مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"^(١).

وهناك أحاديث مختلفة رويت عن رسول الله ﷺ وهى تتحدث عن الأمر الهام

فلنفكر فى هذا الشأن وننظر إلى نقصنا فى ذلك فما أقل بين الناس من يغير بيده المنكر عندما يراه أو يقوم باستنكاره ويصفه بأنه حرام أو يكون على الأقل فى آخر درجة من درجات الإيمان فيكرهه ويتألم عندما يرى وقوعه.

فكروا فى ذلك إخوانى، فكروا فيه وأنتم بخلوة ثم انظروا ماذا كان يجب

وماذا حدث.

(٢) عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل القائم فى حدود الله والواقع

فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا نصابنا خرقتنا ولم نُؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"^(٣).

عن زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها فزاعاً يقول: "لا

إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه

(١) أخرجه مسلم (٥٠) من رواية عبد الله بن مسعود.

(٢) أخرجه البخارى (٢٤٩٣) و (٢٦٨٦).





وحلق بين إصبعيه الإبهام والتي تليها فقلت أنهلك وفيما الصالحون قال: نعم إذا كثرت الخبث"^(١).

نجد في كل مناسبة وفي كل مكان أن الناس يكثرون ذكر انحطاط المسلمين وسقوطهم وينعون علة حالتهم الحاضرة ويقترحون بشتى الطرق لإصلاح وضعهم وحالتهم ولكن أحداً من "الرجعيين" (علماء الدين) لا ينظر - فضلاً عن المتنورين المثقفين بالثقافة الجديدة إلى المرض الذى ذكره وأخبر به طبيبنا الحقيقى وربنا الرحيم ولا إلى الدواء الذى وصفه لعلاجه ولا ينظرون إلى أى حد قاموا بهذا العلاج أليس من ظلمهم وجورهم أن الأمر الذى كان من أكبر أسباب هذا المرض أصبحوا يصفونه علاجاً للمرض نفسه (ليس الأمر إلا أنهم يتغافلون عن الالتزام بالدين ووسائله ويستبدون بآرائهم مع أنهم يطلبون رقى الدين وقوته) فلا عجب إذاً إذا هلك المريض بهذا الدواء إما اليوم وإما فى غدٍ.

(٣) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع به فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: "لعن الذين كفروا من

(١) أخرجه البخارى (٣٣٤٦) و (٣٥٩٨) و (٧٠٥٩) و (٧١٣٥) ومسلم (٢٨٨٠) وأبو داود (٤٢٤٩) والترمذى (٢١٨٧) وابن ماجه (٣٩٥٣) وأحمد ٢/٣٩١ و ٣٩٦ و ٥٤١ و ٤٢٨/٦ و ٤٢٩ والحاكم ١/١٠٨ و ٤٣٩/٤ و ٤٨٣ وابن شعبة ١٥/٥٥ و ١٨٧ و ٢٤٥ وعبد الرزاق (٢٠٧٣٠) و (٢٠٧٤٩) و (٢٠٧٧٧) والطحاوى فى "شكل الآثار" ١/١٣٠ و ٩٦/٣ وغيرهم.





بنى إسرائيل" إلى قوله تعالى: "فاسقون" ثم قال: "كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرن على الحق أطراً"^(١).

وقد ورد في حديث آخر: قال رسول الله ﷺ: "لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماءؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وأكلوهم، وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون"، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال: "لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً"^(٢).

وذكر أثناء الحديث آيات من القرآن الكريم تأييداً لقوله لأن هذه الآيات تشمل على بيان لعنة الله على هؤلاء، وأحد الأسباب العديدة لهذه اللعنة، هو أنهم لم يكونوا يتناهون عن منكر فعلوه.

يستحسن الناس اليوم أن يكونوا مسالمين كل المسألة فلا يتكلمون في أى مناسبة إلا ما يناسب تلك المناسبة، ويعدون ذلك كمالاً ورحابة في السلوك والخلق، مع أن ذلك خطأ إذا كانت هذه الرحابة مطلقة وبصورة عامة، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يكن مؤثراً أو مفيداً في موضوع كان فيه الصمت والمسألة جائزاً فقط، ولكن بدون الموافقة والتأييد للحال السائد أما المواضع التي ينفع فيها الأمر بالمعروف مثل شؤون الأولاد وشؤون من هم تحت إشرافه وفي رعايته، فلن يكون الصمت والرضا في

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦) والترمذي (٣٠٤٨) وابن ماجه (٤٠٠٦) والبيهقي في (السنن) ٩٣/١٠ وفي سنده انقطاع

(٢) وهذا اللفظ للترمذي (٣٠٤٨).



هذه المواضع حسناً، ولن يسمى بكمال الخلق، بل إنما يعد الساكت عن هذه المواضع مجرماً فى قانون الشريعة والاجتماع كليهما.

ولقد ورد فى روايات عديدة أن الذنب الذى يقترفه رجل فى الخفاء يكون ضرره على المقترف وحده، ولكن الذنب الذى يقع بصورة مكشوفة وبحيث يمكن للناس أن يمنعوه ولكنهم لا يمنعوه فإن يكون ضرره عاماً على الجميع^(١).

فليُنظر كل واحد منا إلى ما حوله ويفكر فى كم من الذنوب والسيئات يسعه أن ينكرها ويغيرها ولكنه يتغاضى عنها ويتغافل فيها ويعرض عنها، والظلم الأكبر هو أن رجلاً ما إذا أراد أن ينكر هذه الذنوب وينهى عنها قام الناس لمخالفته يصفونه بقلّة الحكمة وضعف البصيرة يعارضونه معارضة فضلاً عن أن يعاونونه ويساعدونه فى قيامه بالخير والحق: ﴿وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢).

(٤) عن جرير بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرّون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا"^(٣).

(١) لقد جاء فى رواية لعدى الكندى أنه سمع رسول الله (ص) يقول: "إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرّون على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة" أخرجه الإمام أحمد ١٩٢/٤ والبيهقى فى شرح السنة (٤١٥٥) والطبرانى فى "الكبير" (١٣٨٠، ١٣٩/١٧) وابن المبارك فى "الزهد" (٤٧٦) والبيهقى أيضاً فى "التفسير" ٢٣/٣ والطحاوى فى "مخكل الآثار" ٦٦/٢ وللحديث شواهد.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٣٩) وابن ماجه (٤٠٠٩) وأحمد ٣٦٤/٤ و٣٦٦ و٣٦١ والبيهقى فى "السنن" ٩١/١٠ والطبرانى فى "الكبير" ٢/٣٧٧ وإسناده الحديث حسن.

يا سادتي وأصدقائي الذين يحبون عزة الإسلام ومجده، انظروا فإن هذه هي

أسباب انحذار المسلمين وانحطاطهم المستمر، فلينظر كل واحد إلى زويه ولو نظره واحدة لا إلى غيره ولا إلى من فى منزلته ومستواه، بل إلى أفراد أسرته وإلى من تحت رعايته وإلى أولاده وإلى مرءوسيه لينظر كل واحد إلى تلك المعاصى الظاهرة التى يقع فيها هؤلاء، ثم لينظر هل هو يمنعهم من ذلك عن طريق وجاهته لديهم وأثره عليهم، أم يسكت أمامهم ودعوا عنكم أمر القيام بالمنع عن المعاصى، بل انظروا هل أردتم يوماً منعهم من ذلك أو خطر على بال أحدكم أن حبيبه يفعل كذا وكذا مع أنه إذا صدرت منه جريمة فى شأن الحكومة السائدة أو حضر فى إحدى الحفلات السياسية المحظورة لم يكن منك تجاهه إلا انزعاج وخوف شديد من أن يصيبك أنت أيضاً اتهام أو شك فى ذلك فتسرع إلى زجر صاحبك وتحاول تبرئة نفسك مما قد يلحقك فى هذا الشأن من ريبة أو مكروه هل فكرتم أبداً فى الموقف الذى تقفونه بالعكس منه تجاه مرتكب الجريمة فى شأن أحكام الحاكمين.

أليس من الواقع الملموس يا أخى أنك قد تعرف كل المعرفة أن ابنك الحبيب مغرم بلعب الشطرنج وأنه يتلهى بلعب الأوراق ويترك أداء الصلاة فى مختلف أوقاتها ولكنك مع ذلك لا تبدى على ذلك استنكار ولا تقول له: ماذا تفعل؟ فهذا يا أخى ليس من شأن المسلمين مع أنك كنت مأموراً حتى بأن تهجر المؤكلة والمشاربة معه كما مر سابقاً فما أبعد الفرق بين الحاليتين والطريقتين.

ويوجد عدد كبير من الناس يقوم بالسخط والغضب على أولاده لأنهم يقضون أوقاتهم فى الكسل والبطالة ويؤثرون البقاء فى البيوت كأنهم أحلاسها ولا يحاولون

للحصول على وظيفة ولا يؤدون واجبهم نحو حانوتهم أما إذا بحثنا بجانب ذلك عن أناس يغضبون على أولادهم لأنهم يتكاسلون في حضور الصلاة جماعة أو أنهم يصلون الصلاة قضاء فلا نجد هؤلاء إلا نادراً.

سادتى وأصدقائى: إن هذه الأمور لو كانت مما تستوجب المصيبة فى الآخرة وحدها لكانت لاثقة بأن يجتنبها الناس اجتناباً شديداً ولكن الأدهى والأمر هو أن أضرار حياتنا المادية هذه وخسائرها التى تعد أهميتها أشد من أهمية الخسارة الأخرى ليست نتيجة إلا لهذا التهاون والتقصير انظروا إلى أى حد بلغت غباوتنا هذه وتقصيرنا وضلالنا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾^(١).

كما أن هذه الحالة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

(٥) روى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها، قالوا: يا رسول الله ما الاستخفاف بحقها؟ قال: يظهر العمل بمعاصى الله فلا ينكر ولا يغير"^(٣).

انظروا إلى أى حد بلغت المصيبة فى أمر الله اليوم، هل بقى لها حد لم تبلغ إليه، أما محاولة إنكارها وصدها أو تغييرها بعض التغيير فمفقود ومتروك، فحينئذ إذا

(١) الإسراء: ٧٧.

(٢) البقرة: ٧.

(٣) ذكره المنذرى فى (الترغيب) ٢٣١/٣ والزبيدى فى (الإتحاف) ٣٣٤/٩ والهندي فى (الكنز) (٢٢٣).



بقي للمسلمين وجود مع هذا الوضع الخطير، وإنما يستحق أن يعد نعمة من نعم الله تعالى ولا غير، مع أننا لم نكن جذرين بذلك لأننا لم نترك سبباً ولا وسيلة تسوقنا إلى الهلاك إلا اخترناه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن الله أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم؟ فقال: "يا عائشة إن الله عز وجل إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون فيصيرون معهم، ثم يبعثون على نياتهم"^(١).
ولذلك يجب على أولئك الذين اعتمدوا على صلاحهم وتدينهم أنفسهم وقعدوا منقطعين عن الاهتمام بالحالة السيئة التي يقع فيها غيرهم، أن لا يغفلوا عن الخطر، فإنه لو نزل عذاب الله عقاباً على انتشار السيئات والآثام، فلن يكون هؤلاء الصالحون أيضاً في منجى منه.

٦) عن عائشة قالت دخل على النبي ﷺ فعرفت في وجهه أن قد حضر شيء فتوضأ وما كلم أحد فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس، إن الله تعالى يقول لكم مروا بالعرفوف وانهاوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطكم، وتستنصروني فلا أنصركم فما زاد عليهن حتى نزل^(٢).

(١) أخرجه ابن حبان كما في (الوارد) (١٨٤٦) بسند ضعيف فيه عمرو بن عثمان الرقي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١٥٩/٦ وابن ماجه (٤٠٠٤) وذكره الهيتمي في "المجمع" ٢٦٦/٧ وقال: رواه أحمد والبخاري وفيه عاصم بن عمرو أحد المجاهيل.





يجب أن يفكر فى ذلك كل من يأمر بالتسامح والتساهل فى أمر الدين عند ما تمس الحاجة إلى مقاومة العدو، وذلك لأنه لا يمكن نصره المسلمين وإعانتهم إلا بالصلافة فى الدين، فإن الصحابى الجليل أبا الدرداء يقول: ليكن منكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإلا سلب الله عليكم ملكاً لن يحترم كبيركم ولن يرحم صغيركم، وحينئذ إذا دعا الصالحون منكم فلن يستجاب لدعائهم، وإذا استنصرتهم فلن تنصروا، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١).

وورد فى آية أخرى: ﴿إِن يَنصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرْكُمْ مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

وعن حذيفة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"^(٣).

وهنا يمكن لنا ولحضرنا إخواننا أن نفكر فى أمر المعاصى والسيئات التى نقترفها ونرتكبها، فإنه يسعنا بذلك أن نعرف لماذا نضيع جهودنا ويبطل التأثير من دعواتنا، وهل نستوجب بذلك لأنفسنا التقدم والرفعة أو نستوجب الانحطاط والذلة.

(١) محمد: ٧.

(٢) آل عمران: ١٦٠.

(٣) أخرجه الترمذى (٢١٦٩) وأحمد ٣٨٩/٥ والطبرانى فى "الكبير" ١٨٠/١٠ والشجرى فى "الأمالي" ٢٣١/٢ وللحديث شواهد يتحسن بها.





(٧) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا عظمت أمتى الدنيا نزعتم منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي، وإذا تسابقت أمتى سقطت من عين الله"^(١).

اعلموا أيها المنادون بتقدم الأمة وخيرها أن كل واحد من أبناء الأمة إنما يسعى لمجد الإسلام ومجد المسلمين، ولكن الوسائل التي تختار لهذا الغرض لا تسوق إلا إلى الانحطاط والسقوط، إنكم أيها الأخوة إذا كنتم تؤمنون بأن رسولكم (نفسى فداه ﷺ) هو الرسول الحق، وأن تعاليمه هي التعاليم الصادقة فلماذا تنظرون إلى ما يصفه ﷺ من الأمور بأنها أسباب المرض وأنها أسس الفساد والسقوط بنظرة الإنكار بل ترونها بعكس ذلك من أسباب الشفاء والصحة، وقد قال النبي ﷺ: "لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"^(٢) ولكنكم أيها الأخوة تريدون أن يزول عن طريقكم هذا الستار الديني ليسعكم من بعده التقدم والرقى على غرار الأمم الأخرى، وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾^(٣).

(١) ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" ١١٢/١٠ والسيوطى فى "الدار المنثور" ٣٠٢/٢ والزبيدى فى "الإتحاف" ٥١٥/٤ وإسناده ضعيف عند الحكيم الترمذى.

(٢) أخرجه الخطيب فى "تاريخ بغداد" ٣٦٩/٤ بإسناد ضعيف.

(٣) الخورى: ٢٠.





ورد عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، ومزق عليه شمله، ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له"^(١).

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ: "من كان يريد حرث الآخرة" الآية، قال: يقول الله: ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك"^(٢).

هذا قول الله وقول رسوله، ثم ترون أنتم أن تخلف المسلمين وضعفهم فى مجال الرقى والتقدم إنما جاء بسبب أن الوسائل والأسباب التى تختار للسير فى مدارج الرقى والتقدم إنما يعرقل فيها علماء الدين، هؤلاء الطامعون، فياله من سخافة إنه لو كان هؤلاء العلماء طامعين فى الدنيا لكان هذا التقدم والرقى الذى قد تحصلون عليه موضع غبطه وسرور لهم، لأن أرزاقهم تأتى إليهم كما تزعمون من فى أيديكم، فكلما اتسع نطاق رقيكم وكثرت مكاسبكم كان سبباً لاتساع رزقهم أيضاً، فلماذا يعارض هؤلاء المغرضون جهودكم وآراءكم، فهل هناك سبب أو اضطرار يجبرهم على أن يحرّموا أنفسهم من المنافع، ويخربوا بيوتهم ويفسدوا معاشهم أيضاً بإغصاب مربيهم ومحسنيهم أمثالكم.

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٦٥) وابن ماجه (٤١٠٥١) وإسناد ابن ماجه صحيح قاله البيهقى فى "مباح الزجاجة" وصحه الشيخ الألبانى فى "الصحيحه" (٩٤٩).

(٢) أخرجه الحاكم ٤٤٣/٢ وصحه ووافقه الذهبى، وأخرجه مختصراً بدون ذكر الآية الترمذى (٢٤٦٦) وابن ماجه (٤١٠٧) وأحمد ٣٥٨/٢ وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.





فكروا ساعة يا أصدقائي وإخواني إذا كان هؤلاء العلماء "الرجعيون" يقولون قولاً

تجدونه بوضوح في كتاب الله نفسه، فليس انصرافكم عن هذا القول وإعراضكم عنه إلا

مخالفاً للعقل بل ومخالفاً للعظمة الإسلامية كذلك، وإن هؤلاء العلماء الرجعيين مهما

كانوا ضعفاء قاصرين لكنهم ماداموا يبلغون إليكم قول الله عز وجل وقول رسوله الكريم

ﷺ، فيجب عليكم امتثاله، وإذا أعرضتم عنه فستسألون عن ذلك يوم القيامة، وهل

يوجد عاقل يسمح لشخص ما بأن يقول عند مخالفته لقانون حكومة بلاده إنى أخالفه،

لأن الذى أخبرنى بهذا القانون كان من المنبوذين أو الكناسين.

لا تقولوا: إن هؤلاء الشيوخ الذين يعلنون عن أنفسهم الاختصاص بالأعمال

الدينية ينالون مكسباً من أصحاب الدنيا، فإنى أرى وأقول: إن شيوخ الدين التحقيين

لا يأخذون لأنفسهم شيئاً، بل كلما ازداد اشتغالهم بالعبادة زاد فيهم الاستغناء

والتعفف حتى فى قبول الهدايا غير المال الذى يسألونه لتحقيق مشاريع الدين، ولسد

حاجاته وأداء مهامه، فإن ذلك عمل حسن، وسوف يثابون عليه عند الله تعالى أكثر مما

سيثابون على عدم سؤالهم لأنفسهم.

ويعترض كثير من الناس بقولهم إنه ليس فى دين محمد ﷺ تعليم

بالرهبانية، وإن الدين والدنيا قد جمعا فى الإسلام كما يشير إليه قول الله عز وجل: ﴿

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ﴾^(١) فالمعتضون يكثرون ذكر هذه الآية كأنما هذه الآية وحدها نزلت بالعمل بها

(١) البقرة: ٢٠١.





فى القرآن؁ إنهم كان من الواجب عليهم أن يسألوا الراسخين فى العلم عن تفسير هذه الآفة؁ ولذلك قال العلماء: إن الرجل الذى ظن عن نفسه بعد مجرد قراءته لترجمة معانى القرآن الكرفم أنه أصبح عالماً بالقرآن لم فجاوز أمره أمر الغباوة والجهالة؁ أما ما نقل عن الصحابة الكرام والعلماء التابعفمن من تفسير لهذه الآفة الشرففة فهو كما فأتى.

روى عن قتادة رضى الله عنه أن المراد من حسنة الدنيا هى السلامة والكفاف من الرزق^(١)؁ وروى عن على رضى الله عنه: أن المراد منها هى الزوجة الصالحة؁ وروى عن الحسن البصرى رحمه الله أن المراد منها هو العلم والعبادة؁ وروى عن السدى أن المراد منها هو المال الطاهر؁ وروى عن ابن عمر أن المراد هم الأولاد الصالحون؁ ومدح الخلائق له؁ وروى عن جعفر رضى الله عنه أن المراد منها هو الكفافة فى الصحة والقوت؁ وحصول الفهم لكلام الله عز وجل؁ والغلبة على الأعداء ومصاحبة الصالحف^(٢).

أما إذا كان الأمر هو النوع الثانى؁ وهو الرقى الدنىوى بكل أنواعه؁ وهو الذى ترغب فإله نفوسنا فمفعاً؁ فإن الآفة تتضمن على الدعاء له من الله سبحانه وتعالى؁ ولا تتضمن على أن ننصرف إلى طلبه وتحصيفله كل الانصراف؁ وتشتغل به اشتغالاً زائداً؁ أما طلب شىء من الله سبحانه وتعالى والدعاء له؁ وإن كان ذلك لإصلاح الحذاء الذى تحطم فى رجليه؁ فإنما فدخل فى الأمور الدفنية نفسها؁ وإنى أسألكم أفها الإخوان؁ من الذى فنهاكم عن طلب الحصول على الدنيا وطلب الرزق عن طررفها؁ فإنما ففجوز لكم طلبها كل الفواز؁ فلفس من فرضنا أبداً أن نترك الدنيا هذه الرغفبة المغتلفة عندكم كل الترك.

(١) رواه الطبرى فى تفسيره ٣٠٠/٢.

(٢) ذكره السفوطى فى "الدر المنثور" ٢٣٣/١ - ٢٣٤.





إنما الغاية أن تبذلوا للدين من جهدكم ما لم يقل عن جهدكم للدنيا، إذا لم تقدرُوا على أن تزيدوا جهدكم لدين أكثر من الدنيا، لأن الأمر بالطلب إنما جاء على حسب قولك أنت أيضاً للدنيا والدين جميعاً، وألفت نظرك إلى أن القرآن الذي وردت فيه هذه الآية، قد وردت فيه أيضاً: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾^(١) وورد في هذا القرآن نفسه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾^(٢) وجاء في هذا القرآن نفسه: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾^(٣) وجاء في هذا القرآن نفسه: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٤) وجاء فيه: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾^(٥) وجاء فيه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(٦) وجاء فيه: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾^(٧) وجاء فيه: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٨) وجاء فيه: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ

(١) الشورى: ٢٠.

(٢) الإسراء: ١٨-١٩.

(٣) آل عمران: ١٤.

(٤) آل عمران: ١٥٢.

(٥) النساء: ٧٧.

(٦) الأنعام: ٣٢.

(٧) الأنعام: ٧٠.

(٨) الأنفال: ٦٧.





الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ^(١) وجاء فيه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْحَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢)﴾ وجاء فيه أيضاً: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ^(٣)﴾ وجاء فيه أيضاً: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ^(٤)﴾ وهناك آيات كثيرة تتضمن مقارنة بين الدنيا والآخرة، ولكن قصدي لم يكن استعابها وإحصائها، ولم تكن الحاجة تقتضى ذلك أيضاً، فذكرنا عدداً من آيات كمنهج مختصرة ويمكن الرجوع إلى كتاب الله للإطلاع على المزيد منها، وإنما المقصود من كل ذلك إن الذين يؤثرون أمر الدنيا على أمر الآخرة هم في خسران ظاهر، فإن كنتم لا تقدرُونَ على العدل بينهما فعليكم إيثار الآخرة في كل حال، إنى أعترف بأن الإنسان في حياته الدنيا شديد الافتقار إلى الحاجيات الدنيوية، ولكن الذى لن يكون معقولاً هو أن يجلس الإنسان فى المراحيض طيلة نهاره، بناء إلى أنه مفتقر إلى الذهاب إليها.

ولو دقت النظر إلى الحكمة الإلهية لعلمت أن كل أمر فى الشريعة الإسلامية تحت نظام ورابطة، وقد بين الله جل وعلا كل شىء، فإن تقسيم مواقيت الصلاة يشير إلى أن شطراً واحداً من مجموع أوقات الليل والنهار هو من حق العبد سواء بذله فى راحته

(١) التوبة: ٣٨.

(٢) هود: ١٥-١٦.

(٣) الرعد: ٢٦.

(٤) النحل: ١٠٧.





أو فى كسب معاشه، أما الشطر الباقي فهو لله، ويقتضى اقتراحكم لجمع الدين والدنيا ذلك أيضاً، وهو أن يبذل شطر واحد من مجموع أوقات الليل والنهار للدين أما الشطر الباقي فيبذل للدنيا، ولكنه إذا زادت شؤون الدنيا سواء كانت تابعة لراحة الجسم، أو كانت لطلب المعاش، وطغت على شؤون الآخرة فمعناه أنكم جعلتم الدنيا راجحة، فإن نظريتكم فى هذا الصدد تقتضى مبدئياً بأن تبذلوا اثنتى عشرة ساعة من اليوم واللييلة فى شؤون الدين ليتأدى بذلك حق كل واحد من الدين والدنيا على طريقة سواء، وحينئذ يصح القول بأن الله قد أمر بطلب حسنات الدارين، وبأن الإسلام لم يأمر بالرهبانية.

ولم يكن قصدى هنا بيان هذا الأمر، ولكن قيامى بالرد على الشبهة الواردة فى هذا الصدد، قد كان مقصود ذلك فساقنى إلى بيانه، ولذلك اكتفيت بالاختصار وبالإشارات، وإنما كان مقصودى فى هذا الفصل بيان الأحاديث الدالة على ضرورة التبليغ والأمر بالمعروف، واكتفيت فى ذلك ببيان سبعة أحاديث رجاء أن تكفى الواحد منها يكفى إذا كانت القلوب مقبلة، وإذا لم تكن القلوب مقبلة فى آية: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١) كفاية أكثر وأريد أن أقول لكم فى الأخير: إن بعض الأحاديث الشريفة إنما تدل على أن النبى ﷺ قد أمر فى زمن الفتنة الذى يطاع فيه للشح وتتبع أهواء النفس وتؤثر الدنيا على الدين، ويعجب كل ذى رأى برأيه، ولا يقبل رأى غيره، بأن يترك الناس إصلاح غيرهم، ويقبلوا على ذات أنفسهم^(٢)، ولكن هذا

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) يقصد حديث حذيفة الذى يقول فيه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى... الذى رواه

البخارى (٧٠٨٧٤) ومسلم (١٨٤٧).





الزمن فى نظر العلماء والشيوخ لم يأت بعد فيجب إذن أن تفعلوا ما تستطيعون فعله فلا قدر الله أن يأتى هذا الزمن بغتة فإنه لن ينفع حينئذ أى إصلاح ويجب أيضاً اجتناب الأخطاء التى ذكرت فى هذا الحديث بقدر المستطاع لأنها أسباب الفتن وهى تسوق إلى الفتن الصريحة ولقد سماها النبى ﷺ فى حديث من أحاديثه بالموبقات فاللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.





الفصل الثالث

أهمية أن يعمل الداعى بما يأمر به الناس

أريد فى هذا الفصل أن ألفت النظر إلى أمر خاص فأشير إلى عيب يصدر من الناس فى هذه الأيام بصورة خاصة وذلك بجنب تقصيرهم فى عمل الدعوة والتبليغ وشدة غفلتهم عن الأمور الدينية فقد نرى عندما يسند إليهم عمل دينى مثل إلقاء المحاضرات أو كتابة المقالات أو العمل التعليمى أو التبليغ والوعظ وغيرها فهم ينصرفون إلى الاعتناء بأمر الآخرين وينسون أنفسهم ولا يرونها فى حاجة إلى الاعتناء بإصلاحها مع أن اعتنائهم بإصلاحها أهم وأولى من الاعتناء بأمر غيرهم وإصلاح حالهم، ولقد نهى رسول الله ﷺ فى غير موضع نهياً شديداً عن أن يقوم الرجل بنصح غيره ويتمادى بنفسه فى المعاصى لا ينفك عنها.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " رأيت ليلة أسرى بى رجلاً تقرض شفاهم بمقاريض من النار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون؟" (١).

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٢٠/٣ و ١٨٠ و ٢٣١ و ٢٣٩ ، وابن أبى الدنيا فى "الصمت" (٥٠٩) وابن حبان فى "الموارد" (٣٥) والبيهقى فى "شرح السنة" ٣٥٣/١٤ وابن أبى شيبة ٣٠٨/١٤ وأبو نعيم فى الحلية ٤٤/٨ و ١٧٢ والخطيب فى "تاريخ بغداد" ١٩٩/٦ ، وذكره الشيخ الألبانى فى "الصحيحة" (٢٩١).





ورى عن الوليد بن عقبة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن ناساً من

أهل الجنة ينطلقون إلى أناسٍ من أهل النار فيقولون بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل"^(١).

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: "الزبانية أسرع إلى

فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم"^(٢).

وكتب العلماء والشيخوخ أن موعظة رجل لغيره بما لا يعمل به هو نفسه لا تنفع

أبدأً ولذلك ترى أن الحفلات والخطب قد كثرت اليوم بحيث تعقد وتلقى كل يوم ولكنها

تذهب سدى ولا تنفع كما تظهر مقالات ومجلات كل يوم وهى لا تفيد ولا تنفع وقد قال

الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ﴾^(٣). وقال النبي ﷺ: "لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع،

عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه

ماذا عمل فيه"^(٤).

(١) أخرجه الطبرانى فى "الكبير" ٤٠٥/٢٢ وذكره الهيثمى فى "المجمع" ١٨٥/١ و ٢٧٦ وقال: فيه أبو بكر الداهرى وهو ضعيف جداً.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى "الحلية" ٢٨٦/٨ وذكره المنذرى فى "الترغيب" ١٢٤/١ وقال: رواه الطبرانى وأبو نعيم وقال: غريب من حديث أبو

طوالة، تفرد به العمري عنه، يعنى: عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الزاهد. قال الحافظ: ولهذا الحديث مع غرابته شواهد وهو حديث

أبى هريرة الصحيح: "إن أول من يدعو الله يوم القيامة رجل جمع القرآن ليقال قارىء. وفى آخره - أولئك الثلاثة: أول خلق الله تُسْتَعْرَفُ

بهم جهنم يوم القيامة".

(٣) البقرة: ٤٤.

(٤) أخرجه الترمذى (٢٤٦٦) و (٢٤٦٧) والأول ضعيف والآخر صحيح.





عن لقمان يعنى ابن عامر قال: كان الصحابي الجليل أبو الدرداء رضى الله عنه

يقول: إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لى: يا عويمر، فأقول: لبيك رباً، فيقول: ما عملت فيما علمت؟^(١).

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: تعرضت أو تصديت لرسول الله ﷺ وهو

يطوف بالببيت فقلت: يا رسول الله! أى الناس شر؟ فقال رسول الله ﷺ: "اللهم غفراً، سل عن الخير ولا تسأل عن الشر، شرار الناس شرار العلماء فى الناس"^(٢).

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "العلم علمان علم فى القلب فذلك العلم

النافع، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم"^(٣).

فالمقصود من كل ذلك أن تعرف أن العلم المتعلق بالقلب والباطن واجب تحصيله

مع تحصيل العلم الظاهر ليتصف القلب أيضاً بالعلم، لأن العلم إذا لم يؤثر على القلب

كان حجه من الله عليه، وسوف يعاقب به صاحبه يوم القيامة على ما عمل به، وقد

وردت روايات كثيرة متضمنة على الوعيد الشديد على هذا التقصير، فلذلك أرجو من

(١) أخرجه أبو نعيم فى "الحلية" ١٤/١.

(٢) أخرجه البزار (١٦٧) وذكر الهيثمى فى "المجمع" ١٨٥/١ وقال: رواه البزار وفيه الخليل بن مرة. قال البخارى: منكر الحديث، ورد ابن عدى قول البخارى. وقال أبو زرعة: شيخ صالح.

(٣) أخرجه الخطيب فى "تاريخ بغداد" ٣٤٦/٤ والشجرى فى "الأمانى" ٦٠/١ وذكره المنذرى فى "الترغيب" ١٠٣/١ وقال: رواه الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه بإسناد حسن. ورواه ابن عبد البر النمري فى كتاب العلم من الحسن مرسلأ بإسناد صحيح.





البلغين والدعاة الكرام أن يهتموا أولاً بإصلاح أنفسهم ظاهراً وباطناً، لئلا يدخلوا في

مضمار من يستحق هذه الوعيدات، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق برحمته الواسعة

هذا العاجز المذنب كذلك ليقوم بإصلاح نفسه ظاهراً وباطناً، لأنى لا أرى أحداً أكثر منى

خطايا وذنوباً إلا أن يتغمدنى الله برحمته الواسعة.





الفصل الرابع

فضيلة إكرام المسلمين والنهي عن إهانته

وفى هذا الفصل أريد أن ألفت نظر الدعاة والمبلغين إلى أمر هام جداً وهو أن غفلة الداعى عن الحكمة فى عمله وإن كانت غفلة خفيفة تأتى بمغبة سيئة وخطيرة، ولذلك يجب أن يحترس الداعى فى عمله ويحتاط فى أداء ذلك فإن كثيراً من الناس لا يبالون بالوقوع فى هتك كرامة المسلمين لقوة ما عندهم من العاطفة الدعوية مع أن عرض المسلم شىء عظيم وله أهمية كبيرة، فقد ورد قول النبى ﷺ فى ذلك عن أبى هريرة مرفوعاً: "من ستر على مسلم ستر الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه"^(١).

وعن ابن عباس مرفوعاً: "من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته"^(٢).
على كل فقد ورد ذكر هذا الأمر المبهم فى روايات كثيرة فلذلك يجب على الدعاة والمبلغين أن يكونوا محترسين عن الوقوع فيما يكشف ستر المسلمين لأن صيانة عرض المسلم أهم من هذا العمل، فقد ورد عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "ما من امرئ مسلم يخذل امرأً مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) وأبو داود (٤٩٤٦) والترمذى (١٤٢٥) و (١٩٣٠) وأحمد (٢٩٦/٢) و ٥٠٠ و ٦٢/٤ و ٣٧٥/٥ والبيهقى فى "السنن" ٦ و ٢٠١/ و ٣٣٠/٨ والخطيب فى "تاريخ بغداد" ١١٤/١٢ وغيرهم.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٦) وابن أبى الدنيا فى "قضاء الحوائج" (٩٥) وفيه محمد بن عثمان الجمحى ضعيف.





خُذله الله تعالى في موطنٍ يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلمٍ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمة إلا نصره في موطنٍ يحب فيه نصرته”^(١).

وعن سعيد بن زيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: ”من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق”^(٢).

وهناك روايات كثيرة ورد فيها وعيد شديد في هتك عرض المسلم فيجب على الدعاة والمبلغين أن يكونوا محترسين عند قيامهم بالنهي عن المنكر، فلا يقعوا في هتك عرض، فإن كان المنكر خفياً وجب أن يكون التنبيه عليه خفياً وإذا كان علناً فيكون التنبيه عليه علانية، وكلما قام الداعي بالتنبيه والنهي عن منكر غيره وجب عليه أن يهتم بأن لا تكون طريقته مسيئة إلى كرامة من ينهاه وينصحه، حتى لا يحصل له من هذا العمل الحسن شرٌ بدل الخير الذي يريده ويطلبه لنفسه من ذلك.

فالحاصل أنه يجب على الرجل أن يقوم بإنكار المنكر، لأن النذر التي ذكرناها سابقاً شديدة ولكن الواجب عليه أن يكون محترساً من أن ينال من عرضه وكرامته وأحسن طريقة في ذلك أن يبدي استنكاره للسيئة علانية إذا أتى بها صاحبها علانية، ولكن السيئة التي لم يأتها صاحبها إلا سراً فعلياً ألا يقوم نحوها بأمر يكشف ما خفى من حاله، كما أن الحكمة في الدعوة تقتضى أيضاً أن يكون الداعي رقيقاً في عمله مع الناس.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٤) وأحمد ٣٠٠/٤ والحديث حسن شواهده.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٧٦) وأحمد ١٩٠/١ وذكره الشيخ الألباني في ”التوسل“.





لقد نصح رجلُ الخليفة العباسي المأمون بطريقة جافية غليظة فقال له: كن لطيفاً في نصيحتك، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام وهما خير منك إلى فرعون وهو شرُّ مني فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١).

عن أبي أمامة قال فتى من قريش يا رسول الله ائذن لي في الزنا! فأقبل القوم عليه وزجروه فقال: ادنه فدنا، فقال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم"، ثم قال له مثل ذلك في ابنته وأخته وعمته وخالته، في كل ذلك يقول: "أتحبه لكذا؟" فيقول: لا والله جعلني الله فداك، فيقول ﷺ: "ولا الناس يحبونه" فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء^(٢).

على كل فيجب على الداعي أن يستعمل ما يسعه من الدعاء والدواء والوعظ واللفظ في تذكير الناس، بل ليتخيل نفسه في مكانهم، ثم يتصور ما هو الطريق الذي كان يستحسنه للتذكير والنهي عن المنكر.

(١) طه: ٤٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٥٦/٥ و ٢٥٧ والطبراني في "الكبير" ١٩٠/٨ و ٢١٥ وذكره الهيثمي في "المجمع" ١٢٩/١ وقال: رواه أحمد والطبراني في "الكبير" ورجاله رجال الصحيح، وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٣٧٠).





الفصل الخامس

التذرع بالإخلاص والإيمان وبطلب رضى الله سبحانه فى كل عمل

أقدم فى هذا الفصل نصيحة إلى الدعاة والمبلغين الكرام، وهى أنه يجب عليهم أن يزينوا بالإخلاص والنصيحة كل ما يقومون به من خطابة أو كتابة فى سبيل الدعوة، لأن الإخلاص يجعل العمل الصغير كبيراً جداً فى ثمراته الدينية ونتائجه المادية، وأما إذا فقد الإخلاص من عمل فيصبح العمل بتجرده عنه فاقد الأثر والفائدة فى الدنيا والآخرة جميعاً.

قال النبى ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"^(١).

وقد ورد عن أبى فراس (رجل من أسلم) قال: نادى رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: "الإخلاص"^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) وابن ماجه (٤١٤٣) وأحمد ٢/٢٨٥ و ٥٣٩ والبغوى فى "شرح السنة" ٣٤١/١٤ والإمام أحمد فى "الزهد" (٤٦) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" ٤٨٠ وأبو نعيم فى "الحلية" ٩٨/٤ و ١٢٤/٧ وغيرهم.
(٢) ذكره المنذرى فى "الترغيب" ٥٤/١ أحاديث عن الإخلاص وذكر قريب من هذا نسبة إلى أحمد والبيهقى وقال: وفى إسناد احتمال للتحسين.





عن معاذ بن جبل أنه قال - حين بعث إلى اليمن - يا رسول الله أوصني ، قال:

”أخلص دينك يكفيك العمل القليل“^(١).

وعن أبي أمامة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت غزاً يلتبس

الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: ”لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات ويقول ﷺ

: لا شيء له، ثم قال: ”إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به

وجهه“^(٢).

وورد في حديث آخر ”أن الله تعالى قال: ”أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل

عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه“ وفي رواية فأنا منه بريء فهو للذي

عمله“^(٣).

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة وكان من الصحابة قال: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: ”إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة - ليوم لا ريب فيه - نادى مناد: من

(١) أخرجه الحاكم ٣٠٦/٤ وأبو نعيم في ”الحلية“ ٢٤٤/١ وذكره المنذرى في الترغيب ٥٤/١ وقال: رواه الحاكم من طريق عبيد بن زجر عن

ابن أبي عمران وقال: صحيح الإسناد كذا قال: قلت: إلا أن الذهبي تعقبه وقال: لا.

(٢) أخرجه الفسائي ٢٥/٦ والطبراني في الكبير (٧٦٢٨) وإسناده حسن.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وأحمد ٣٠١/٢ و ٤٣٥ من حديث أبي هريرة.





كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن

الشرك^(١).

وفي حديث آخر: "من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن

تصدق يرائي فقد أشرك"^(٢).

وقد ورد في حديث آخر: "إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل

استشهد، فأتى به فعرفه نعمته فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى

استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على

وجهه حتى ألقى في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمته

فعرّفها، قال: فما عملت فيها قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال:

كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: إنك عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئء فقد قيل،

ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من

أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها قال: ما تركت من

(١) أخرجه الترمذى (٣١٥٤) وابن ماجه (٤٢٠٣) وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد ابن بكر.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١٢٥/٤ و ١٢٦ والطبرانى فى "الكبير" ٣٢٩/٤ وابن عساکر ٢١١/٧ والشجرى فى "الأمانى" ٢٢٤/٢ وذكره الهيئمى

فى "المجمع" ٥٤/٧ وقال: أخرجه البزار وفى رواية البزار كذاب وهو محمد بن السائب الكلبي.





سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد

فقد قيل ، ثم أمر به فسحب به على وجهه ، ثم ألقى في النار^(١) .

فمن أهم الأمور وأوجبها أن يعتنى الدعاة والمبلغون الكرام في جميع جهودهم

ومحاولاتهم الدعوية بأن يكون رضا الله سبحانه وتعالى واتباع سنة رسوله ﷺ

مقصودهم ومطلوبهم وأن يعتنوا بأن لا يمسهم فيها طلب سمعة أو عزة أو مدح ابدأ ،

وإذا خطر ببالهم منها شئ فعليهم أن يدفعوها عنهم ويصلحوا أمرهم فيها ، وأدعو الله

سبحانه وتعالى لنفسى الحقيرة المذنبه أن يرزقنى كذلك الإخلاص فى أعمالى كلها بكرمه

وببركته وبركة أحاديث نبيه الكريم ﷺ .. آمين .

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبى هريرة .





الفصل السادس

توقير العلماء والصالحين وعدم الاستخفاف بهم

فى هذا الفصل ألفت نظر عامة المسلمين إلى أمرٍ خاص وهو أن كثيراً من الناس إنما يرون إلى العلماء بعين مختلفة، فلا يبلغ نظرهم إليهم إلى حد الإعراض عنهم وسوء الظن بهم فحسب، بل وإلى مناوئتهم وتحقيرهم فى كثير من الأحيان، وذلك قبيح جداً وخطر على المكانة الدينية التى يحتلها هؤلاء الناس المخالفون، أقول ذلك وأعترف بأن جماعة العلماء تشتمل على أفراد سوء أيضاً، وبمثلها نجد فى كل جماعة من جماعات الناس، وأنهم يشتملون على أفراد صدق أيضاً، وإذا افترضنا أن نسبة أفراد السوء فى طبقة العلماء أكثر من أفراد السوء فى طبقة أخرى وعلماء السوء مختلطون بعلماء الحق، فالذى تجب مراعاته والعناية به هو أن لا يوصف أحد من العلماء بالسوء ما لم يتحقق أنه من أصحاب السوء، فقد جاء فى القرآن المجيد: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلٌّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١).

ومن الظلم المبين أن ترفض نصيحة رجل لأنه يخيل إليك أنه من علماء السوء.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية

ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ :

(١) الإسراء: ٣٦.



”لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا“.^(١)

فالحاصل من ذلك أن رسول الله ﷺ قد نهى المسلمين عن أن يصدقوا ما نقله الكفار وترجموه، أما نحن فقد بلغ الأمر بنا إلى حد أن رجلاً إذا تكلم بشيء يخالف رأينا نغضب ونهجم على هذا الرجل ونسعى لإهدار كرامته وتوهين شخصيته، ونقصد بذلك إبطال رأيه وقوله، وإن كان من المتحقق لنا أن هذا الرجل من أهل الحق الصالحين.

الأمر الثاني الهام هو أن علماء الحق والرشد والخير أيضاً لا تخلوا نفوسهم من دواعي الطبيعة البشرية ولا معصوم في الناس إلا الأنبياء عليهم السلام وحدهم، فالأخطاء والتقصيرات التي تصدر من العلماء إنما مسئوليتها على أنفسهم وهو أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى إن شاء آخذهم عليها وإن شاء عفا عنهم فيها وأغلب الظن في ذلك هو أن هذه التقصيرات والأخطاء سيغفرها الله تعالى، ومن عادة الله سبحانه وتعالى أنه يتلطف في شأن أولئك الذين تركوا شئون أنفسهم الدنيوية واشتغلوا بالعمل في سبيل ربهم، وانصرفوا إلى هذا العمل، فالرجو أن يصفح الله عنهم فإنه لا رحيم مثله ولا كريم غيره، ولكنه إذا أراد أن يؤاخذ هؤلاء على تقصيراتهم، وذلك إظهاراً لعدله فذلك أمر يتعلق به وله الخيار في ذلك، فمعارضة الناس للعلماء لمثل هذه الأسباب، وتنفيرهم للناس عنهم، وإفساد ظنهم فيهم، والسعي لتجنيب الناس عنهم لا يجر إلا إلى فساد دين الناس، ويكون وبالاً عظيماً لفاعليه.

(١) أخرجه البخارى (٤٤٨٥) و (٧٢٦٢) و (٧٥٤٢) والبيهقى في ”السنن“ ١٠/١٦٣ والبغوى في ”شرح السنة“ ١/٢٦٩ وابن أبى هيبه ٩/٤٨٩ وغيرهم.





وقد قال النبي ﷺ: "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى شعبة المسلم وحامل

القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه وإكرام ذى السلطان المقسط"^(١).

ورود فى حديث آخر: "ليس من أمتى من لم يبجل كبيرنا ويرحم صغيرنا

ويعرف عالمنا"^(٢)، وأيضاً عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث لا يستخف بهم

إلا منافق، ذو الشبهة فى الإسلام وذو العلم وإمام مقسط"^(٣).

وروى عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لا أخاف على أمتى

إلا ثلاث خصال: أن يكثر لهم من الدنيا فيتحاسدوا، وأن يفتح لهم الكتاب يأخذه المؤمن

يبتغى تأويله:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ

مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤)

وأن يروا ذا علم فيضيعوه ولا يبالوا عليه"^(٥).

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣) والبيهقى فى "السنن" ١٦٣/٨ والبغوى فى "شرح السنة" ٤٢/١٣ والشجرى فى "الأمان" ٢٤١/٢ و ٢٤٦ و ٢٤٧ وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣) والترمذى (١٩٢٠) والحاكم ٦٢/١ وأحمد ٢٥٧/١ و ١٨٥/٢ و ٢٠٧ والحميدى (٢٥٨٦) والطبرانى ١٩٦/٨ و ٣٦٨ و ٤٤٩/١١ والبخارى فى "الأدب المفرد" (٣٥٨) وفى "التاريخ الكبير" ٣١٢/٧ وابن حبان فى "الوارد" (١٩١٣) والظحاوى فى "الشكل" ١٣٣/٢ وأخرجه أيضاً الترمذى (١٩١٩) و (١٩٢١) كلهم بألفاظ متقاربة وأسانيد مختلفة والحديث حسن بهواهده.

(٣) أخرجه الطبرانى فى "الكبير" (٧٨١٩) وذكره الهيثمى فى "المجمع" ١٢٧/١ وقال: وفى عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد وكلاهما ضعيف.

(٤) آل عمران: ٧.

(٥) أخرجه الطبرانى فى "الكبير" كما قال الهيثمى فى "المجمع" ١٢٧/١ و ١٢٨ وقال: وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه ولم يسمع من أبيه.





فإذا كان الأمر أن الراسخين في العلم أيضاً لا يجترئون بالتجاوز عن تصديقها فكيف يليق بالعامّة أن لا يرضوا لقبولها إلا بالراء والإنكار، أما الأمر الثالث فهو أن يضاع حق العلماء وألا يهتم بشأنهم.

وذكر صاحب كتاب "الترغيب" هذا الحديث برواية الطبراني كما وردت روايات أخرى كثيرة في هذا المعنى في كتب الحديث الشريف.

إن النعوت التي يستعملها الناس لعلمائهم وللعلماء الدينية اليوم بوجه عام، إنما جاء ذكر كثير منها في كتاب "الفتاوى الهندية" بأنها كلمات كفر، ولكن الناس لجهالتهم غافلون عن هذا الحكم فيجب لذلك أن يحتاط الناس احتياطاً شديداً في استعمال مثل هذه النعوت، ولو افترضنا أن جميع هؤلاء الذين نسميهم بالعلماء هم علماء السوء، فلن ترتفع مسؤوليتكم إذن كذلك بمجرد أن تقولوا إنهم علماء السوء، بل يكون حينئذ واجباً على جميع المسلمين في العالم أن ينشئوا جماعة لعلماء الحق وأن يتعلم جميع الناس العلم الديني لأن وجود العلماء فرض كفاية، وإذا وجدت جماعة لهذا الغرض سقط هذا الواجب عن الجميع، وإذا لم يفعلوا ذلك فيقع الذنب على الجميع.

ويورد الناس شبهة أخرى بقولهم: إن اختلاف العلماء هو الذي جاء بمصائب كثيرة على العامة، فهذه الشبهة ربما تكون صحيحة في بعض جوانبها ولكن الذي لا شك فيه أن اختلاف العلماء هذا ليس ناشئاً منذ اليوم ولا منذ خمسين سنة أو منذ قرن واحد، بل إنه ناشئ منذ قرون الخير الأولى منذ زمن النبي ﷺ.

أرسل رسول الله ﷺ صحابيّه أبا هريرة رضي الله عنه مرة مع نعليه الشريفين وقال: "أذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله





مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة" فقال: فضرب عمر بيده بين ثدييَّ ضربة فخررت لاستي، فقال: ارجع أبا هريرة^(١).

ضرب عمر رضى الله عنه على صدره، حتى سقط أبو هريرة رضى الله عنه على الأرض ولم يحدث على هذا الحادث أى احتجاج ولم تلتصق إعلانات الاستنكار على الجدران كما يحدث فى هذه الأيام ضد عمل عمر رضى الله عنه.

لقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فى آلاف من المسائل والأحكام أما أئمة الفقه الأربعة فقلما توجد مسألة فرعية وفيها اختلاف بينهم وقد وجدت أنا شخصياً مائتى مسألة وقع فيها الاختلاف بين هؤلاء الأئمة الأربعة فى ركعتين اثنتين من تكبيرة التحريم إلى سلام الخروج من الصلاة، أما عند غيرى فقد يوجد أكثر من هذا، ولكنى لا أظن أنك تجد من المسائل ثلاثة أو اثنين كرفع اليدين أو الجهر بقول آمين كانت شهرتها كبيرة أو ظهرت إعلانات أو عقدت حفلات ومناظرات فى سبيلها، وذلك لأن جمهور المسلمين غير مطلع على هذه المسائل، إما فى العلماء فالاختلاف رحمة، ومن المعروف أن العالم يفتى على دليل شرعى، فإن كان دليله غير صائب فى نظر عالم آخر فلا بد من أن يلجأ هذا العالم الآخر إلى الاختلاف عنه، وإن لم يبق بالاختلاف فى شأنه، فإنما يكون مدهاناً وعاصياً لأمر الله.

الحقيقة أن الناس يلجئون إلى أعذار باردة سخيفة ليتهربوا بذلك من أداء العمل، ألا يرون أن الاختلاف يوجد بين الأطباء كثيراً وبين المحامين كذلك فهل ترك الناس الرجوع إلى هؤلاء فى طلب العلاج وإلى أولئك للمرافعات القضائية؟ ثم لماذا

(١) أخرجه الإمام مسلم (٣١).





يحتجون باختلاف العلماء لتركهم العمل الدينى مع أن الذى يؤدى العمل بصدق وإخلاص فالمرجو فى شأنه أنه يعتمد فى ذلك على رأى العالم الذى يطمئن إلى علمه ويجده متبعاً للسنة السننية وعليه أن يحترز من الطعن والتعريض فى حق الآخرين فالذى لا يدرك الدلائل والحجج ولا يفهمها ولا يستطيع ترجيح بعضها على بعض فليس له من الحق أن يتدخل فى ذلك فلقد روى عن النبى ﷺ أن نقل العلم من أولئك الذين ليسوا أهلاً له لن يكون إلا إضاعة له ولكن الأمر إذا كان معكوساً بحيث لا يرى أحد مانعاً من أن يطلق لسانه على قول الله جل وعلا وقول رسوله الكريم ﷺ فماذا نقول إذن فى حق العلماء فإنهم فى هذا الحال عرضة لكل سوء: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

(١) البقرة: ٢٢٩.





الفصل السابع

سمات أهل الحق وأهمية صحبتهم

وهذا الفصل تكملة للفصل السابق أقوم فيه بالرجاء من قراء هذه الرسالة أن يعرفوا أن الاتصال بالأخيار من عباد الله وكثرة الحضور في مجالسهم يزيد قوة في الأمور الدينية ويسوق الخير والبركات الدينية إلى صاحبها قال النبي ﷺ: "ألا أدلك على ملاك هذا الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة عليك بمجالس أهل الذكر"^(١). الحديث.

ولابد من تعريف لخيار عباد الله، إن صفتهم وعلامتهم أنهم يتبعون السنة المحمدية السنية، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ أسوة لتتهدى به أمته، فقد قال في كلامه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) فكل من يكون صادقاً في اتباع النبي ﷺ فإنما يكون من خيرة عباد الله سبحانه وتعالى وكل من يكون بعيداً عن هذا الاتباع يكون بعيداً عن القربة عند الله، وقد كتب المفسرون أن الذي يزعم لنفسه محبة الله وهو مخالف لسنة رسول الله ﷺ فهو كاذب، لأن قانون المحبة يقتضى لمن يحب أحداً أن يكون محباً لداره وفناء بيته، وجدرانه، وبستانه، حتى لكلبه وحماره:

(١) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٣٦٧/١٣٦٧ بسند ضعيف فيه عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف.

(٢) آل عمران: ٣١.





أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
ولكن حب من سكن الديارا

أمر على الديار ديار ليلي
وما حب الديار شغفن قلبي

ويقول:

هذا لعمرى فى الفعال بديع
إن المحب لمن يحب مطيع

وتعصى الإله وأنت تظهر حبه
لو كان حبك صادقاً لأطعته

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كل أمتى يدخلون

الجنة إلا من أبى" قيل: ومن أبى؟ قال: "من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى"

ومما يبعث على الحيرة والعجب أن الذين يزعمون لأنفسهم الإخلاص

والنصيحة للإسلام والمسلمين هم بعيدون كل البعد عن الطاعة لله ورسوله وقد يبلغ من

صفاتهم أنك إذا قلت أمامهم إن العمل الفلانى لا يتفق مع أوامر رسول الله ﷺ ولا يوافق

سنته فكأنك طعنتهم برمح.

كل من يسير على طريق غير طريق الرسول ﷺ لن يكون وصوله إلى المقصود،

على كل فإن الواجب على كل من يعلم عن أحد أنه من خير عباد الله سبحانه وتعالى أن

ينشئ معه الاتصال ويحضر فى مجالسه بكثرة وأن ينتفع بعلمه، فذلك طريق للرقى

الدينى، وهو من أوامر النبى ﷺ كذلك.

وورد عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا مررتم برياض

الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس العلم"^(١).

(١) أخرجه الطبرانى فى "الكبير" (١١١٥٨) وذكره الهيثمى فى "المجمع" ١٢٦/١ وقال: وفى رجل لم يسم.





عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن لقمان قال لابنه يا بني عليك بمجالس العلماء واسمع كلام الحكماء فإن الله ليحيى القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر"^(١).

وعن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله أى جلسائنا خير؟ قال: "من ذكركم الله رؤيته وزاد فى علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله"^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣).

وكتب المفسرون أن المراد من الصادقين هنا هم أصحاب تربية النفس والتزكية فإن الذى يصحبهم ينال من تأثير تربيتهم وقوة الولاية التى هم عليها فيتمكن بها من إحراز المراتب الدينية العالية.

عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:

"لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده"^(٤).

(١) ذكره الهيثمى فى "المجمع" ١٢٥/١ وقال: رواه الطبرانى فى "الكبير" ٢٣٦/٨ وفى عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد وكلاهما ضعيف. وذكره المنذرى فى "الترغيب" ١١٢/١ وقال: رواه الطبرانى فى "الكبير" من طريق عبيد بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم وقد حسنها الترمذى لغير هذا المتن ولعله موقوف وإنه أعلم.

(٢) ذكره الهيثمى فى "المجمع" ٢٢٦/١٠ وقال: رواه أبو يعلى فى إسناده مبارك بن حسان وقد وثق. وذكره المنذرى فى "الترغيب" ١١٢/١ وقال: رواه أبو يعلى ورواته رواة الصحيح إلى مبارك بن حسان. وذكره الحافظ فى "المطالب العالية" (٢٧٧٣) و (٢٢٣٣).

(٣) التوبة: ١١٩.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٠) والترمذى (٣٣٧٨) وأحمد (٩٢/٣) والبنوى فى "شرح السنة" ١٠/٥ وأبو نعيم فى الحلية ٢٠٥/٧.





وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: "ما من قوم اجتمعوا
يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء ن قوموا
مغفورا لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات" (١).

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما قعد قوم مقعداً لم
يذكروا الله عز وجل فيه ويصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن
دخلوا الجنة للثواب" (٢).

ومن دعوة سيدنا داود عليه السلام: يا رب إن رأيتنى أخرج من مجلس الذاكرين
إلى مجلس الغافلين فاكسر رجلى".

يقول أبو هريرة رضى الله عنه: إن المجالس التى يذكر الله فيها إنما تتلأ لأهل
السماء كما تتلأ النجوم لأهل الأرض.

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه مرَّ بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل
السوق ما أعجزكم قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم
وأنت هاهنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: فى المسجد،
فخرجوا سراعاً ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٤٢/٣ والبخاري (٣٠٦١) وأبو نعيم فى "الحلية" ١٠٨/٣ وذكر الهيثمى فى "المجمع" ٧٦/١٠ وقال: فيه ميمون
المرانى وثقة جماعة وفيه ضعف.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٤٦٣/٢ وفى الزهد (٢٧) وابن حبان فى "الموارد" (٢٣٢٢) وذكره الهيثمى فى "المجمع" ٧٩/١٠ وقال: رواه أحمد
ورجاله رجال الصحيح وذكره الشيخ الألبانى فى "المصححة" (٧٦).





هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما

رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى رأينا قوماً يصلون وقوماً يقرءون القرآن وقوماً

يتذكرون الحلال والحرام فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ^(١).

لقد ذكر الإمام الغزالي روايات كثيرة من هذا القبيل وأعظم من ذلك كله قول الله

تعالى لنبيه الكريم ﷺ:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ

عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾^(٢).

وقد ورد في روايات عديدة أن النبي ﷺ كان يشكر الله جل جلاله ويقول: "إنه

خلق في أمتي رجالاً أمرت بصبر نفسي معهم"، وورد في هذه الآية الكريمة ذكر جماعة

أخرى تكون قلوبها غافلة عن ذكر الله وهم يتبعون أهوائهم وكان أمرهم فرطاً فنهى الله

نبيه عن اتباعهم.

(١) قال العراقي في "تخريج الإحياء" ٢٦٦/١ رواه الطبراني في "الصغير" بإسناد فيه جهالة أو انقطاع.

(٢) الكهف: ٢٨.





فليفكر هؤلاء الناس حين يتخذون الكفار والفساق قدوةً وأئمةً لهم في كل شأن

من شئونهم سواء كان من أمور الدنيا أو من أمور الدين ويتفانون حباً وفداءً للمشركين

والنصارى فليفكر هؤلاء ما هو الطريق الذي أصبحوا اليوم يسلكونه.

تم بحمد الله ، ، ،





الفهرس

تقديم الكتاب ٣

بقلم فضيلة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى ٧

كلمة المؤلف ١٣

الفصل الأول

الدعوة والتبليغ كما تدل عليه آيات القرآن الكريم ١٦

الفصل الثانى

تأكيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما تدل عليه أحاديث

الرسول ﷺ ٢٣

الفصل الثالث

أهمية أن يعمل الداعى بما يأمر به غيره ٤٠

الفصل الرابع





فضيلة إكرام المسلمين والنهي عن إهانتهم ٤٤

الفصل الخامس

التذرع بالإخلاص والإيمان وبطلب رضى الله سبحانه فى كل عمل

..... ٤٧

الفصل السادس

توقير العلماء والصالحين وعدم الاستخفاف بهم ٥١

الفصل السابع

سمات أهل الحق وأهمية صحبتهم ٥٧

